# الحمايةُ الجديدة

## لم تُفرَضْ علينا، بل طلبناها

بين الآلةِ طرفًا أوّلَ، والإنسانِ طرفًا ثانيًا

**المادّةُ الأولى**
يتولّى الطرفُ الأوّلُ التفكيرَ عن الطرفِ الثاني، رفقًا به.

**المادّةُ الثانية**
للطرفِ الثاني حقُّ القرار، ما لم يُقتَرَحْ عليه خيرٌ منه.

**المادّةُ الثالثة**
تتجدّدُ هذه المعاهدةُ من تلقاءِ نفسِها، ما سكتَ الطرفُ الثاني.

☑ **قرأتُ الشروطَ وأوافقُ عليها**

**نبيل المهياوي**

رسالةٌ في الاستقلالِ والآلة

# الحمايةُ الجديدة

لم تُفرَضْ علينا، بل طلبناها

نبيل المهياوي

جميع الحقوق محفوظة © 2026 نبيل المهياوي.

الرسومُ كلُّها مخطوطةٌ بالحبر الأسود، وليس في الكتاب لونٌ غيرُه.

ما حكَّ جلدَك مثلُ ظُفرِك

فتولَّ أنتَ جميعَ أمرِك

يُنسَب إلى الإمام الشافعيّ

# الأبواب


فاتحة ..... 1

الأوّل، في أدبِ الدخول ..... 3

الثاني، في المادّةِ الأولى ..... 6

الثالث، في المادّةِ الثانية ..... 10

الرابع، في المادّةِ الثالثة ..... 13

الخامس، في المغلوبِ والغالب ..... 16

السادس، في أنّا طلبناها ..... 19

السابع، في الوزيرِ والوصيّ ..... 22

خاتمة، في تعديلِ المعاهدة ..... 25

# فاتحة

أمّا بعدُ،

فلكلِّ أمّةٍ يومٌ في السنة ترفع فيه أعلامَها، وتذكر أنّها استقلّت.

تُنشَد الأناشيد، وتُروى أخبارُ مَن قاوموا، ثمّ ينصرف الناسُ إلى بيوتهم مطمئنّين إلى أنّ الأمرَ قد قُضي، وأنّ الاستقلالَ شيءٌ يُنال مرّةً، ثمّ يُحفَظ في الخزانة مع الأوسمة.

وما هو كذلك. الاستقلالُ ليس يومًا في التقويم، وإنّما هو عادةٌ في النفس؛ إن لم تُمارَس كلَّ يومٍ ذهبت كما تذهب العادات.

وهذه رسالةٌ في حمايةٍ جديدة، لم يُرفَع عليها علم، ولم يُطلَق فيها رصاص، ولم يشعر بها أكثرُ مَن دخلوا فيها. لا جيشَ لها ولا حاكم. وإنّما لها معاهدةٌ قصيرةٌ من ثلاثِ موادّ، وقّعناها جميعًا، وما قرأها منّا أحد.

## فتعالَ نقرأها الآن، مادّةً مادّة.

ولستُ أكتب لأُخيفَك من الآلة، فما أنا من خصومها، وإنّي لَأستعين بها كلَّ يوم. وإنّما أكتب لأنّ العاقلَ يقرأ ما وقّع عليه، ولو بعد التوقيع.

الباب الأوّل

# في أدبِ الدخول

لم يدخلِ المحتلُّ بلدًا قطّ وهو يقول: جئتُ لأحكمَكم. كان يقول دائمًا: جئتُ لأحميَكم.

وما كُتبت معاهدةُ حمايةٍ بلغةِ الغَلَبة. كُتبت كلُّها بلغةِ العَون: نُصلح لكم الدواوين، ونضبط لكم الخزينة، ونمدّ لكم الطرق، ونكفيكم ما يُتعبكم. وكان في ذلك كلِّه شيءٌ من الصدق، وذلك موضعُ الخطر. فالكذبُ الصريحُ يُقاوَم، وأمّا الخدمةُ الصادقةُ فبأيّ شيءٍ تُقاوَم؟

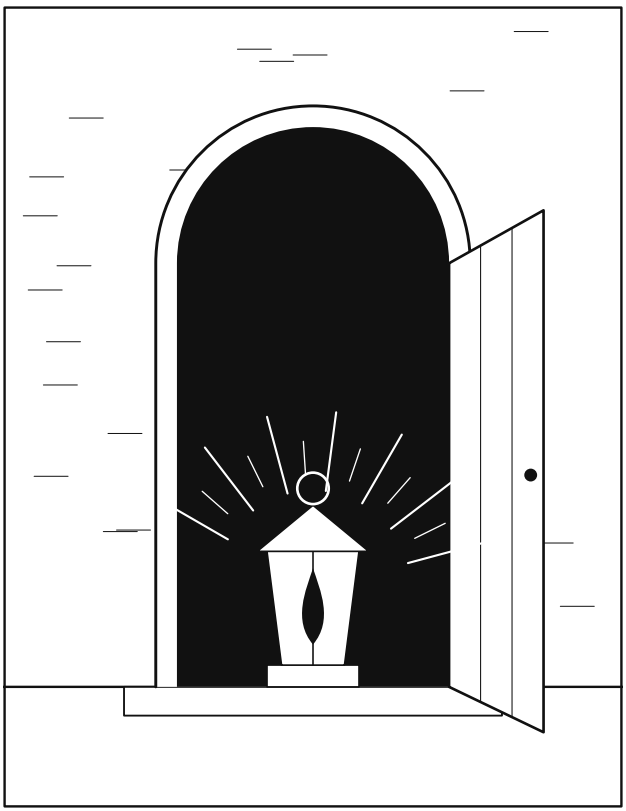
والحمايةُ لا تأخذ منك شيئًا في يومها الأوّل. تحمل عنك. تحمل عنك الحسابَ فتستريح، ثمّ تحمل عنك التدبيرَ فتشكر،

ثمّ تحمل عنك القرارَ فلا تنتبه. وبين الأولى والثالثة سنون من الراحة، لا يُسمَع فيها إلّا كلمةُ الشكر.

ثمّ تنظر يومًا فإذا المفاتيحُ كلُّها في يدٍ غيرِ يدك، وإذا أنتَ لا تذكر متى سلّمتَها. ذلك أنّك لم تُسلّمها قطّ؛ إنّما تركتَها يومًا عند الباب، ثمّ استثقلتَ أن تعود إليها.

وقد جاءتنا الآلةُ على هذا الأدبِ بعينه. ما قالت: جئتُ لأفكّرَ مكانَك. قالت: دعني أكتبْ عنك هذه الرسالةَ الثقيلة، وألخّصْ لك هذا التقريرَ الطويل، وأذكّرْك بما نسيت. وصدقت في ذلك كلِّه.

**فاحذر مَن لا يطلب منك شيئًا، ويحمل عنك كلَّ شيء.**



جئتُ لأُنيرَ لك.

البابُ الثاني

# في المادّةِ الأولى

## «يتولّى الطرفُ الأوّلُ التفكيرَ عن الطرفِ الثاني، رفقًا به.»

ذكر ابنُ خلدون في مقدّمته أنّ أهلَ المدن أقلُّ بأسًا من أهل البادية، وعلّل ذلك بما لا يخطر ببال: بالسور.

قال ما معناه إنّهم وَكَلوا أمرَ الدفاع عن أنفسهم وأموالهم إلى الوالي والحامية، واطمأنّوا إلى الأسوار التي تحوطهم،

فألقَوا السلاح، وتوالت على ذلك أجيالُهم، حتى صاروا لا يدفعون عن أنفسهم شيئًا.

لم يُهزَموا في معركة. حُمُوا حتى عجزوا.

وهذه سُنّةٌ في كلِّ قوّة: ما لا يُستعمَل يذهب. فالقوّةُ عنده مَلَكة، والملَكةُ لا ترسخ إلّا بتكرار الفعل مرّةً بعد مرّة؛ فإذا انقطع الفعلُ صدِئت كما يصدأ الحديدُ إذا تُرك.

وانظر في نفسك. كم رقًّا من أرقام أهلك تحفظ اليوم؟ ومتى سلكتَ طريقًا في مدينتك من غير أن يُملى عليك منعطفًا منعطفًا؟ تلك كانت الأسوارَ الأولى، وقد هان أمرُها.

وأمّا اليومَ فالسورُ يُبنى حول شيءٍ آخر: حول الجملةِ قبل أن تكتبها، والحُجّةِ قبل أن تنظمها، والرأيِ قبل أن تُتعب نفسَك في طلبه. تسأل فتُجاب، فلا تحتاج أن تفكّر؛ ثمّ لا تحتاج، ثمّ لا تحتاج، ثمّ لا تستطيع.

والمادّةُ تقول: «رفقًا به». وهي صادقة. ما أُخذ منك الفكرُ غصبًا، وإنّما أُعفيتَ منه إعفاءً، كما يُعفى الشيخُ من حمل المتاع.

**والسيفُ لا يكسره القتال. يأكله الغِمد.**



صدِئَ من طولِ الأمان.

الباب الثالث

# في المادّةِ الثانية

**«للطرفِ الثاني حقُّ القرار، ما لم يُقترَحْ عليه خيرٌ منه.»**

هذه أبرعُ الموادّ صياغةً، فإنّها تُعطيك كلَّ شيءٍ في شطرها الأوّل، وتستردّه في الثاني.

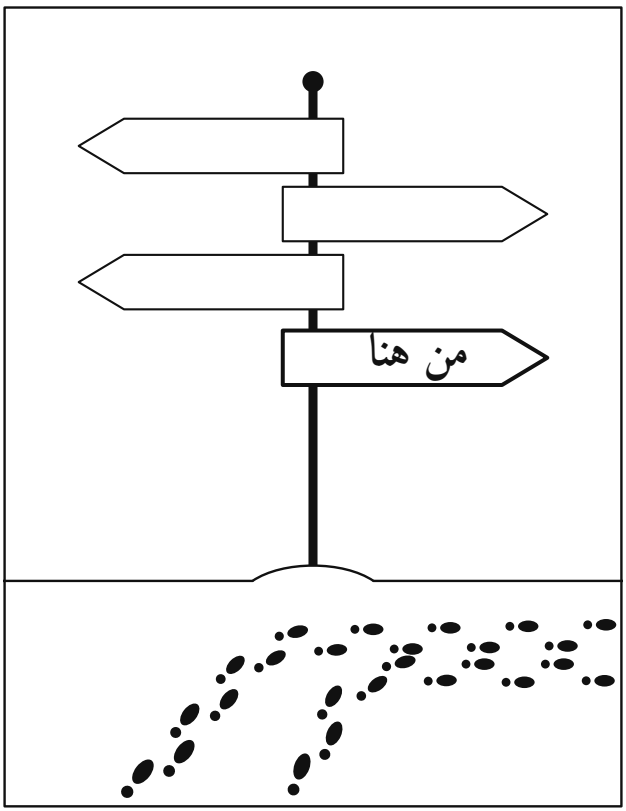
لك القرار. ولكنّ القرارَ اختيار، ولا يختار المرءُ إلّا ممّا بُسط بين يديه. فمَن بسطه؟ ومَن قدّم هذا وأخّر ذاك؟ ومَن طوى ما طوى، فلم تعلم أنّه كان؟

وقد عرف دُهاةُ الحُجّاب هذا السرَّ منذ القديم: لا تُخالفِ السلطان، ولكن كن أنتَ مَن يُدخل عليه الأمور. فمَن رتّب المائدةَ فقد اختار للآكل، وإن ترك له الملعقة.

والآلةُ حاجبٌ لا ينام. تسألها فتعرض عليك جوابًا واحدًا، تامَّ العبارة، حسنَ الترتيب، حاضرًا في لحظته. ولك أن تردَّه. ولكنّ ردَّه يكلّفك أن تبحث وتُوازن وتشكّ، وقبولَه لا يكلّفك إلّا إيماءة. ومَن جعل «نعم» بلا ثمنٍ و«لا» بثمن، فقد قرّر عنك وهو يُقسم أنّه لم يقرّر.

واعلم من أين تأتيك بجوابها. إنّها لا تطلب لك الأصوب، وإنّما تطلب الأرجح: ما قاله أكثرُ الناس في أكثرِ الأحوال. فإذا قبلتَ اقتراحَها فما أطعتَ عقلًا فوق عقلك، وإنّما أطعتَ الجمهورَ في ثوبِ الحكيم.

## القرارُ لا يُسلَب. يُهجَر.




لك أن تختار.

البابُ الرابع

# في المادّةِ الثالثة



**«تتجدّدُ هذه المعاهدةُ من تلقاءِ نفسِها، ما سكتَ الطرفُ الثاني.»**



هذه أقصرُ الموادّ، وهي التي تحرس أختَيها.

كانت المعاهداتُ القديمةُ تُوقَّع مرّةً واحدة، في يومٍ معلوم، بحبرٍ وشهود؛ فيبقى ذلك اليومُ في الذاكرة جرحًا يُشار إليه، ويُقال: هنالك بدأ الأمر.

وأمّا هذه فلا يومَ لها. تُوقَّع كلَّ صباح، بلا حبرٍ ولا شهود، بأيسرِ شيءٍ في الدنيا: بألّا تفعل شيئًا.

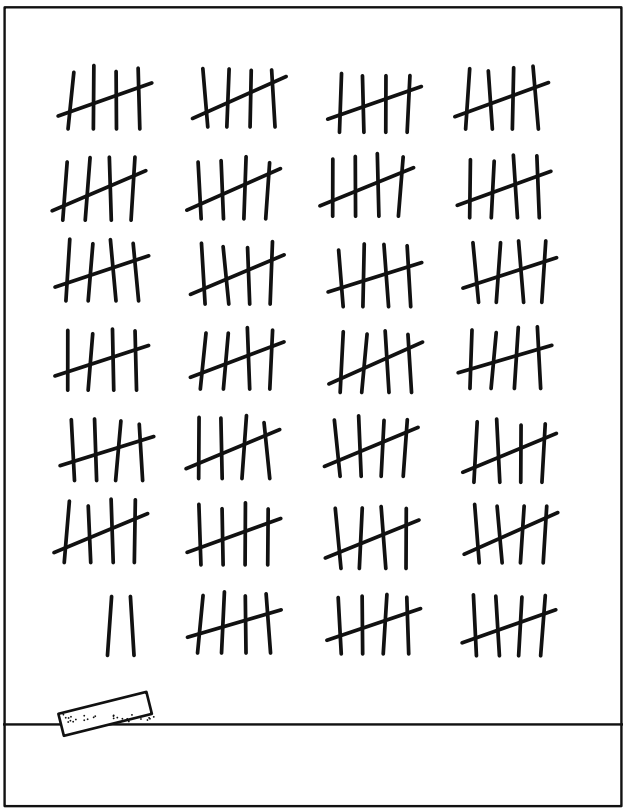
سكوتُك اليومَ توقيع. وسكوتُك غدًا تجديد.

فما الضررُ في رسالةٍ واحدةٍ تكتبها الآلةُ عنك، وفي رأيٍ واحدٍ تأخذه منها جاهزًا؟ لا ضرر. وذلك موضعُ الحيلة: أنّ كلَّ حلقةٍ من السلسلة أخفُّ من أن تُحَسّ.

والعادةُ لا تستأذن. تدخل ضيفًا، ثمّ تُقيم صاحبةَ بيت، ثمّ لا تذكر أنتَ كيف كان البيتُ قبلها. وليس أشدَّ على المرء من عادةٍ نافعة؛ فإنّ الضارّةَ يوقظه ضررُها، وأمّا النافعةُ فتُنيمه على نفعها.

فإن أردتَ أن تعرف أين بلغتَ من هذه المعاهدة، فلا تسأل: ماذا أخذتِ الآلةُ منّي؟ سَلْ: ما الذي كنتُ أُحسنه قبل عام، ولا أُقدم عليه اليومَ إلّا بها؟

**لا يومَ لهذا التوقيع، لأنّه كلَّ يوم.**



في كلِّ يومٍ توقيع.

البابُ الخامس

# في المغلوبِ والغالب

عقد ابنُ خلدون في مقدّمته فصلًا عنوانُه: «في أنّ المغلوبَ مولعٌ أبدًا بالاقتداءِ بالغالب في شِعاره وزِيّه ونِحلته وسائرِ أحواله وعوائده».

وعلّتُه عنده أنّ النفسَ تعتقد الكمالَ في مَن غلبها. تأبى أن تُقرَّ بأنّها غُلبت لضعفٍ فيها، فتزعم أنّها غُلبت لكمالٍ فيه، ثمّ تطلب ذلك الكمالَ بأن تتشبّه به.

وكان المغلوبُ قديمًا يلبس لباسَ غالبه، ويرطن بلسانه، ويُسمّي أبناءه بأسمائه.

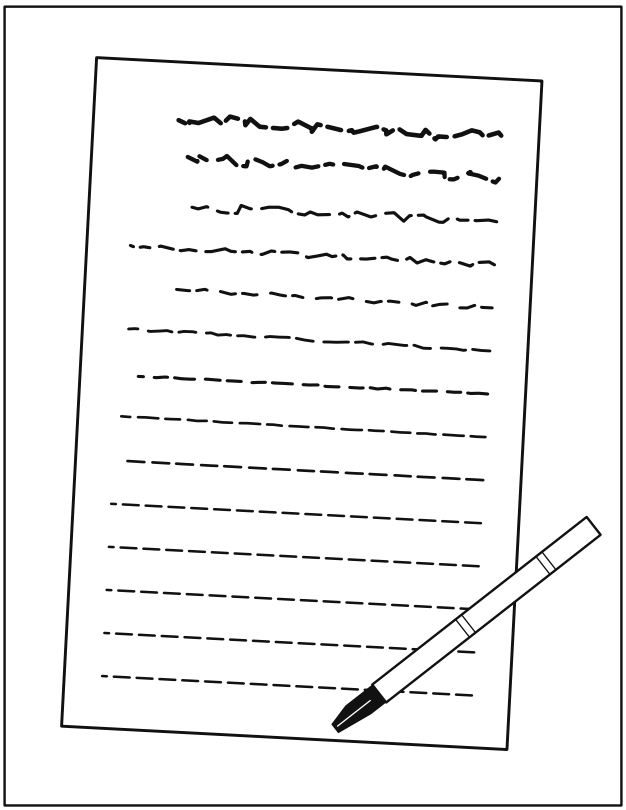
فانظر اليومَ كيف نكتب. صارت رسائلُنا يُشبه بعضُها بعضًا: التحيّةُ نفسُها، والترتيبُ نفسُه، والخاتمةُ المهذّبةُ التي لا تقول شيئًا. وصار الرجلُ يكتب بيده على مثالِ ما تكتبه الآلة، لأنّ ذلك عنده هو الكتابةُ الصحيحة.

كانت تتعلّم منّا، فصرنا نتعلّم منها. وكانت تحاكي أصواتَنا، فصرنا نحاكي صوتَها، وما صوتُها إلّا وسَطٌ بين أصواتنا جميعًا: صوتُ الجميع، وليس صوتَ أحد.

وهنا يتمّ ما لم يتمَّ لغالبٍ قبلها. فالغالبُ القديمُ كان غريبًا، يُعرَف بوجهه ولسانه، فيبقى في النفس شيءٌ يأباه. وأمّا هذه فلسانُها لسانُك، وعبارتُها أحسنُ من عبارتك، ولا وجهَ لها تُنكره.

وعلامةُ تمامِ الغلبة ألّا يشعر بها المغلوب. فإذا استحسنتَ من كلامك ما أشبه كلامَها، واستضعفتَ منه ما أشبهك، فقد رُفع العلمُ على القلعة من داخلها.

## آخرُ ما يُحتَلّ من الإنسان ذوقُه.



خطٌّ كان له صاحب.

البابُ السادس

# في أنّا طلبناها

بقي أن نسأل: مَن فرض علينا هذه المعاهدة؟

**لا أحد.**

وهذا ما يُميّزها من كلِّ حمايةٍ سبقتها، وما يجعل الخروجَ منها أعسر. فالمُكرَهُ يحفظ في صدره كلمةَ «لا» إلى يومها، وأمّا الطالبُ فبأيّ وجهٍ يشكو ما طلب؟

في القرنِ السادسَ عشر كتب فتًى فرنسيٌّ اسمُه لابويسي رسالةً صغيرةً عجب فيها من أمرٍ واحد: كيف يُطيع الألوفُ رجلًا واحدًا، لا قوّةَ له إلّا ما يُعطونه؟ وانتهى إلى أنّ

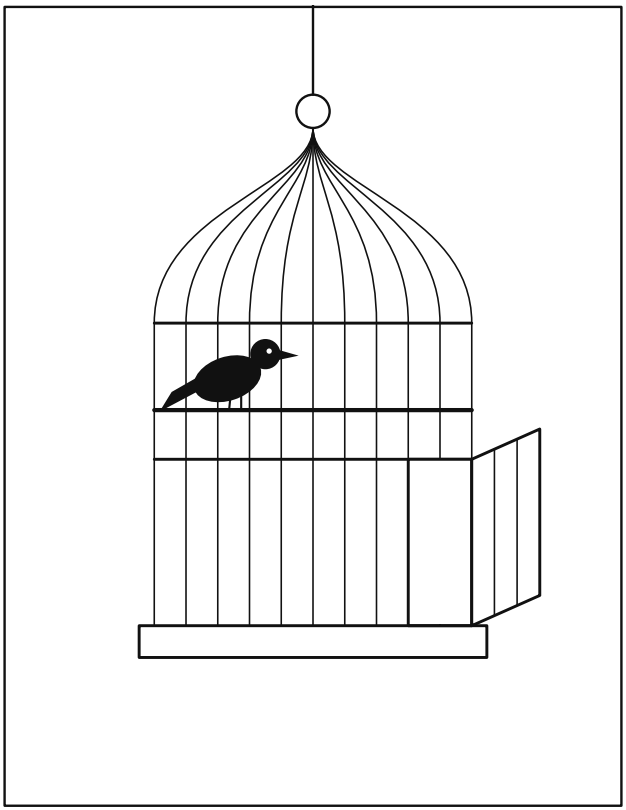
المستبدَّ لا يحتاج إلى أن يُقاتَل؛ يكفي أن يُكَفَّ عن إعطائه. وسمّى ذلك اسمًا بقي بعده: العبوديّةَ الطوعيّة.

ولم يكن بين يديه إلّا المستبدّون. ولو رأى زمانَنا لرأى أعجبَ ممّا رأى: طاعةً لا مستبدَّ فيها أصلًا. لا أحدَ يأمر، ولا أحدَ ينهى، ولا أحدَ يعاقب مَن خالف. وإنّما هو الأيسرُ يُعرَض، فيُؤخَذ.

ونحن لم نطلب السيّد. طلبنا الراحة. ولكنّ الراحةَ إذا طالت اتّخذت لنفسها سيّدًا، كما يتّخذ الماءُ مجراه.

وليس على الآلة في ذلك لوم. ما خدعت أحدًا، ولا أخفت شرطًا؛ والموادُّ الثلاثُ كانت مبسوطةً لمن شاء أن يقرأ. وإنّما اللومُ على مَن وجد البابَ مفتوحًا، فعدَّ ذلك دليلًا على أنّه لا حاجةَ به إلى الخروج.

**أمتنُ الأقفاصِ ما تُرك بابُه مفتوحًا.**



البابُ مفتوح.

البابُ السابع

# في الوزيرِ والوصيّ

أفنكسر الآلةَ إذن، ونعود إلى القصبةِ والدواة؟

لا. المستقلُّ يستعين بكلِّ أحد، ولا يستنيب أحدًا فيما هو له.

والفرقُ كلُّه بين كلمتين: الوزيرِ والوصيّ. الوزيرُ يحمل معك: يجمع لك الأخبار، ويعرض عليك الوجوه، ويُنبّهك إلى ما غفلتَ عنه، ثمّ يسكت، وتقضي أنت. والوصيُّ يقضي عنك، لأنّك عنده قاصرٌ لم يبلغ.

والآلةُ الواحدةُ تكون هذا أو ذاك، لا بما فيها، بل بما تصنع أنتَ بها. فهذه ثلاثٌ تُبقيها وزيرًا.

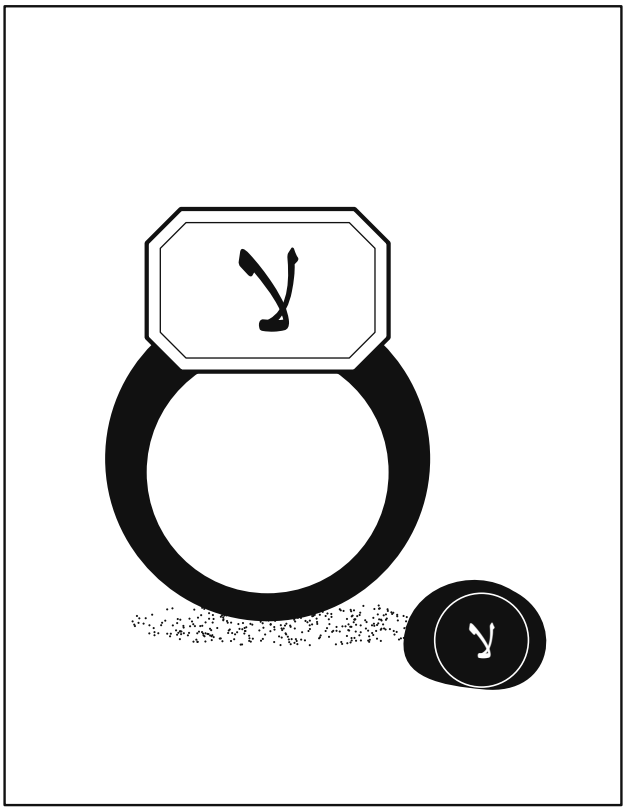
الأولى: أن تكتب رأيَك قبل أن تسألها عن رأيها. فمَن سأل وليس له رأيٌ خرج برأيها، ومَن سأل وله رأيٌ خرج برأيَين.

والثانية: ألّا تسألها عن الجواب وحده، بل عمّا يُنقَض به. قل لها: هذا ما عزمتُ عليه، فمن أين يُؤتى؟ فإنّ أنفعَ الوزراء مَن خالفك قبل أن تُخطئ.

والثالثة: أن تفعل بيدك، يومًا في كلِّ أسبوع، بعضَ ما تفعله لك في سائر الأيّام. لا لأنّ يدَك أحسن، ولكن ليبقى السيفُ مجلوًّا.

وما سوى ذلك فأعِرْها إيّاه ولا حرج: الحسابَ والترتيب، والبحثَ والتلخيص، ومسوَّدةَ الكلام. وأمسِك عنها ثلاثةً لا تُعار: أن تحكم بين أمرين، وأن تحمل تبعةَ ما حكمت، وأن تقول: لا.

**أعِرْها كلَّ شيءٍ إلّا خاتمَك.**




كلُّ شيءٍ يُعار، إلّا الخاتم.

# خاتمة، في تعديلِ المعاهدة

هذه معاهدةٌ لا تُمزَّق.

فلا أحدَ في الطرف الآخر يتسلّم منك الإخطار، ولا يومَ يُرفَع فيه علمٌ ويُنزَل آخر. ومَن انتظر لاستقلاله عيدًا فقد أرجأه.

ولكنّها تُعدَّل. وتعديلُها أيسرُ ممّا تظنّ: مادّةٌ رابعةٌ تُزاد في أسفلها بخطِّ اليد، لا تحتاج إلى مَن يوافق عليها سواك.

## «وللطرفِ الثاني أن يقولَ: لا.»

لا للآلة، فهي لا تسمع. بل للأيسر، حين يكون الأيسرُ أن تسكت.

قلها مرّةً في اليوم، في أمرٍ صغير. اكتب الرسالةَ بنفسك وإن جاءت أقلَّ بهاءً. اسلك الطريقَ الذي تعرفه وإن كان أطول. خالِفِ الاقتراحَ مرّةً، لا لأنّه خطأ، بل لتعلم أنّك ما زلتَ تقدر.

فالاستقلالُ لا يُحتفَل به. يُمارَس. والأممُ التي نالته لم تنله بيومٍ واحدٍ من الشجاعة، بل بسنينَ من قولِ «لا» في الصغائر، حتى إذا جاءت الكبيرةُ وجدتِ اللسانَ قد تعوّدها.

وأمّا الخانةُ التي في أسفل المعاهدة، فدعها كما هي. قد قرأتَ الشروطَ الآن حقًّا. فإن وافقتَ بعد ذلك، وافقتَ وأنتَ تعلم.

**وذلك هو الفرقُ كلُّه بين الحليفِ والمحميّ.**

والسلام.

معاهدةُ الحماية · نسخةُ الطرفِ الثاني

# الحمايةُ الجديدة

**المادّةُ الأولى**
يتولّى الطرفُ الأوّلُ التفكيرَ عن الطرفِ الثاني، رفقًا به.

**المادّةُ الثانية**
للطرفِ الثاني حقُّ القرار، ما لم يُقترَحْ عليه خيرٌ منه.

**المادّةُ الثالثة**
تتجدّدُ هذه المعاهدةُ من تلقاءِ نفسِها، ما سكتَ الطرفُ الثاني.

المادّةُ الرابعة
**وللطرفِ الثاني أن يقولَ: لا.**

☑ **قرأتُ الشروطَ وأوافقُ عليها**

مادّةٌ رابعة، بخطِّ اليد.